مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 82 – يونيو 2026

Volume 23 – issue 82 – June 2026

Pages 83 - 101 الصفحات 83 - 101

معنى قول السلف: "القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود" (دراسة تحليلية)

The Meaning of the Statement of the Salaf: "The Qur'an is the Speech of Allah; from Him it began and to Him it returns" (An Analytical Study)

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8204

نور إسحاق إيمان علي

Noor Ishaq Iman Ali

طالب في مرحلة الدكتوراه بقسم العقيدة بكلية العقيدة والدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

PhD student in the Department of Creed, College of Creed and Da'wah,
Islamic University of Madinah

Email: NALI11@OUTLOOK.SA

Date of Receipt - 2026/04/27 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/05/17 – تاريخ القبول

نور إسحاق إيمان علي
طالب في مرحلة الدكتوراه بقسم العقيدة بكلية العقيدة والدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Noor Ishaq Iman Ali
PhD student in the Department of Creed, College of Creed and Da'wah, Islamic University of Madinah
Email: NALI11@OUTLOOK.SA

معنى قول السلف: «القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود» (دراسة تحليلية)

The Meaning of the Statement of the Salaf: «The Qur'an is the Speech of Allah; from Him it began and to Him it returns» (An Analytical Study)

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8204

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٤/٢٧ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٥/١٧

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى بيان مراد السلف بقولهم: «القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود»، وقد خلص إلى اتفاق السّلف على أن القرآن كلام الله تعالى حقيقةً، وأنه تعالى هو المتكلم به. وأن قولهم: «إن القرآن من الله بدأ» يُراد به: أن الله سبحانه هو الذي تَكَلَّمَ بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ابتداءً. وقولهم: «وإليه يعود» يُفسّر برفع القرآن الكريم في آخر الزمان من المصاحف والصدور، أو بعوده إليه نسبةً ووصفًا. كما أن قولهم: «كلام الله منه» و«القرآن منه» يُراد به: أنه صفة لله سبحانه، وأنه سبحانه المتكلم به.

ويوصي البحث بضرورة جمع ودراسة الآثار الواردة عن أئمة السّلف في القرآن الكريم، وأنه من كلام الله غير مخلوق، كما يوصي بجمع ودراسة الأحاديث والآثار المروية في مسألة «رفع القرآن في آخر الزمان»، ودراستها دراسةً حديثيةً وعقديةً وفقهيةً موسّعةً.

الكلمات المفتاحية: القرآن، كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، السّلف.

Abstract

This research aims to clarify the intent of the Salaf (the early righteous generations) in their statement: «The Quran is the Word of Allah; from Him it began, and to Him it shall return.» The study concludes that there was a consensus among the Salaf that the Quran is truly the Word of Allah, and that He, Exalted be He, is its Speaker-having initially spoken it with its literal letters and meanings in His own Voice. The research explains that the phrase «To Him it shall return» is interpreted as the Quran being raised (taken away) from the physical copies (Masahif) and from the hearts of men at the end of time, or that it returns to Him in terms of attribution and description. Furthermore, the study emphasizes that their expressions «The Word of Allah is from Him» and «The Quran is from Him» signify that it is an attribute of Allah-Glorified be He-and that He alone is its Speaker.

The study recommends the systematic collection and analysis of reports transmitted from the Salaf concerning the Qur'an and its status as the uncreated Word of Allah. It also recommends compiling and verifying the narrations related to the issue of the «lifting of the Qur'an at the end of time,» and subjecting them to comprehensive hadith-based, theological, and juristic analysis.

Keywords: Qur'an; Word of Allah; «From Him it began»; «To Him it returns»; al-Salaf.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا بحث في دراسة قول السلف: «القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود».

والله أسأل الإعانة والهداية والتوفيق، وأن يرزقنا علما نافعا، وعملا صالحا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تجلية معتقد السلف في كلام الله تعالى من خلال دراسة قولهم: «إن القرآن كلام الله، منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود»، وهو أثر سلفي يشتمل على أصول كبرى من أصول أهل السنة والجماعة في صفة الكلام.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان مراد السلف بقولهم: «القرآن كلام الله، منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود»، وقولهم: «كلام الله منه»؟

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد المراد بعبارة السلف: «القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود»، لاسيما مع ما قد يكتنف بعض ألفاظها من إجمال. ويسعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما مراد السلف بهذه العبارة؟

تساؤلات البحث: ينطلق هذا البحث من تساؤلٍ رئيس، تتفرع عنه مجموعة من التساؤلات الفرعية، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: التساؤل الرئيس:

ما المراد بقول السلف: «القرآن كلام الله، منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود»؟ وقولهم: «كلام الله منه»؟

ثانيًا: التساؤلات الفرعية:

ما معنى قول السّلف: «كلام الله منه»؟ وقولهم: «القرآن منه»؟

ما المقصود بقولهم: «منه خرج»؟

ما المراد بقولهم: «منه بدأ»؟

ما المقصود بقولهم: «وإليه يعود»؟

الدراسات السابقة:

حظيت مسألة كلام الله تعالى بعناية واسعة في مصنفات أهل العلم، غير أن عبارة: «القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود» لم تُفرد في حدود الاطلاع بدراسة مستقلة، وهو ما سوّغ للباحث إفرادها بالبحث لشرح ألفاظها.

منهج البحث: يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، والمشكلة البحثية وتساؤلاتها، إضافة إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث وخُطته.

التمهيد: وفيه تعريفُ القرآنِ لغةً وشرعاً.

المبحث الأوّل: تخريج الأثر.

المبحث الثاني: إجماع السلف على أنّ القرآن كلام الله سبحانه، غير مخلوق.

المبحث الثالث: معنى قول السّلف: إنّ القرآن من الله بدأ، وإليه يعود. وتحته مطلبان:

المطلب الأول: معنى قول السّلف: «القرآن من الله بدأ» وقولهم: «القرآن من الله خرج».

المطلب الثاني: معنى قول السّلف: «وإليه يعود».

المبحث الرابع: معنى قول السّلف: «كلام الله منه»، و«القرآن منه».

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث، وتوصياته.

التمهيد: وفيه تعريفُ القرآنِ لغةً وشرعاً.

أولاً: تعريفُ القرآنِ لغةً:

اختُلف في لفظ «القرآن»، فذهب بعضهم إلى أنَّه اسمُ علم غيرُ مشتقٍّ، خُصَّ به كتابُ الله تعالى، وذهب الجمهور إلى أنَّه مشتقٌّ، ثم اختلفوا في أصل اشتقاقه؛ فقيل: من القراءة بمعنى التلاوة، وقيل: مشتق من القَرْء بمعنى الجمع، من قولِ القائلِ: قرأتُ الشيءَ. إذا جمعْتَه وضمَمْتَ بعضَه إلى بعضٍ، وقيل في اشتقاقه أقوال أخرى[1].

ثانياً: تعريف القرآن شرعاً:

المراد بالقرآن في عُرْفِ أهلِ الشَّرعِ: «كلام الله عز وجل الذي أنزله على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأسلوبه ومعناه»[2].

فالقرآن كلام الله تعالى، تكلّم به بحروفه ومعانيه بصوت نفسه الذي لا يماثل شيئا من أصوات العباد، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥)، وقد حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام مَسْمُوعاً من الله تعالى، وسَمِعَه النبيُّ ﷺ من جبريل، والصحابةُ سَمِعوه من رسولِ الله ﷺ؛ فهو الذي نتلوه اليومَ بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا، ونجمعه بين دفتي مصاحفنا؛ فيكونُ بذلك مسموعاً مقروءاً، ومحفوظاً مُوعىً، ومكتوباً مُدوَّناً، وهو في أحواله هذه كلُّها كلامُ اللهِ تعالى حقيقةً[3].

و«القرآن» اسم للكتاب المنزل على نبي الله محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ (طه: ١-٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦)، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١/٩٠-٩٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/٢٩٨)، لسان العرب، لابن منظور، (١/١٢٨-١٢٩)، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (٦٦٨-٦٦٩)، الإتقان في علوم القرآن، للسّيوطيّ، (١/١٨١-١٨٢)، الكليات، لأبي البقاء الكفوي، (٧٢٠-٧٢٣).

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير سورة النساء، (٢/١٦). وينظر: سيف الدين الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، (١/١٥٩). وينظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار الفتوحي، (٢/٧-١٥٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٢/٩٧، ٣٠٦، ٥٨٢-٥٩٨)، جامع المسائل، لابن تيمية، (٧/٢١).

المبحث الأوّل: تخريج الأثر.

عن عمرو بن دينار، قال: أدركتُ أصحابَ النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: «الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود»[١]، وعند حرب الكرماني عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة، أدركت أصحاب النبي فمن دونهم يقولون: «الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن، فإنه كلام الله منه خرج وإليه يعود»[٢]، وعند البخاري، عن سفيان، أنه قال: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار، يقولون: «القرآن كلام الله وليس بمخلوق»[٣]، وفي رواية عند ابن جرير الطبري عن ابن عيينة، أنه قال: سمعتُ عمرو بن دينار، يقول: أدركتُ مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: «القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود»[٤]، وأخرج ابن بطة بسنده أن ابن عيينة قال: سمعتُ عمرو بن دينار، منذ أكثر من سبعين سنة يقول: جالست الناس أكثر من سبعين سنة فسمعتهم يقولون: «ما دون الله فهو مخلوق، إلا القرآن، فإنه منه بدأ وإليه يعود»[٥]، وفي رواية أخرى عند ابن بطة، عن إسحاق بن راهويه، قال: قال: سفيان؛ يعني ابن عيينة، قال عمرو بن دينار: أدركتُ أصحابَ النبي ﷺ منذ سبعين سنة، ومن دونهم، كلهم يزعمون «أن الله الخالق وما دونه مخلوق إلا القرآن، فإنه منه خرج وإليه يعود»[٦]، وروى اللالكائي بسنده، عن ابن عيينة، أنه قال: سمعتُ عمرو بن دينار يقول: أدركتُ مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: «القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود»[٧].

وروى ابن عبد البر عن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي، قال: ذَكَرَ سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: أدركتُ الناسَ منذ سبعين سنة -وكان قد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ فمن دونهم- يقولون: «الله عز وجل الخالق، وما سواه مخلوق، إلا القرآن، فإنه كلام الله، منه خرج وإليه يعود» [٨]. وعن عكرمة، قال: كان ابن عباس في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: «مه، القرآن منه»، وفي رواية، فقال

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية»، رقم: (١٧٨)، و«النقض على المريسي»، رقم: (١٣٢). وعمرو بن دينار، هو شيخ الحرم في زمانه، الإمام الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي، ثقةٌ ثبتٌ. وما قيل عنه من التشيع فباطل. مات سنة ست وعشرين ومائة. ينظر: طبقات ابن سعد، (٨/٤٠، رقم: ٢٤٠٠)، ميزان الاعتدال، (٣/٢٦٠، رقم: ٦٣٦٧)، تقريب التهذيب، (ص: ٤٢١، رقم: ٥٠٢٤).

(٢) أخرجه الكرماني، كما في «مسائل حرب الكرماني»، تحقيق: فايز حابس، (٣/١١٣٢-١١٣٣). وسفيان هو: ابن عيينة، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي. ثقة ثبت. تُوفّي بمكة سنة ١٩٨ه. طبقات ابن سعد (٨/٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد»، (ص: ٢٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «صريح السنة»، (ص: ١٩، رقم: ١٦).

(٥) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، (٦/٧-٨).

(٦) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، (٦/٦-٧).

(٧) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٢٦٠، رقم: ٣٨١).

(٨) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد»، (٢٤/١٨٦).

ابن عباس: «القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود»[١].

وعن وكيع، أنه قال: «الْقُرْآنُ مِنَ اللَّهِ عز وجل، مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ» [٢].

المبحث الثاني: إجماع السلف على أنّ القرآن كلام الله سبحانه، غير مخلوق.

أجمع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه سبحانه هو الذي تكلم به بقدرته ومشيئته. فعن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: «أدركتُ تسعةً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر»[٣]، وعن ابن عيينة أيضاً، قال: سمعتُ عمرو بنَ دينارٍ يقول: «أدركتُ مشايخنا، والناسَ، منذ سبعينَ سنةً، يقولون: القرآنُ كلام الله، منه بدأ وإليه يعود» [٤].

قال ابن راهويه[٥] معلّقا على هذا الأثر: «وقد أدرك عمرو بن دينار أَجِلَّةَ أصحابِ رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة، لم يختلفوا في ذلك»[٦].

وقال البيهقي بعد نقله للأثر المرويّ عن عمرو بن دينار: «ومشايخ عمرو بن دينار جماعة من الصحابة ثم أكابر التابعين، فهو حكاية إجماع منهم»[٧].

وقال ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ): سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازا، وعراقا، وشاما، ويمنا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته...»[٨].

---

(١) رواه الطبراني في كتاب السنة، كما في «التسعينية» (١/٣٦٤-٣٦٥)، و«الفتاوى الكبرى» (٦/٤٠١)، وأخرجه بَحْشَل في «تاريخ واسط»، (١٨٨-١٨٩)، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم بسنده، وقد ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٢٥٦-٢٥٧، رقم: ٣٧٥، ٣٧٦)، وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة»، (١/٣٦٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى»، (٥/٢٧٠-٢٧١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، (١/٥٩٠-٥٩١، رقم: ٥١٩)، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد»، (٨/٣٠١، رقم: ٣٧٩٩)، وذكره البغوي في «شرح السنة»، (١/١٨٥-١٨٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»، (١/١٥٨) ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٣٨٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٢٥٩، رقم: ٣٨٠، ٢/٢٥٣-٢٥٤)، ثم قال اللالكائي معلقا على هذا الأثر: «ولقد لَقِيَ عمرُو بن دينار: ابنَ عباس، وابنَ عمر، وابنَ الزبير، وجابرَ بن عبد الله، والمسورَ بن مخرمةَ، وسعدَ بنَ عائذ القَرَظِ مؤذِّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسائبَ بن يزيد الكِنْدِيَّ، وأبا الطفيلِ عامر بن واثلة، ورُوِيَ له عن أنس، فهؤلاء تسعةٌ».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه، ثقةٌ، حجّةٌ، حافظٌ مجتهدٌ. تُوفّي سنة ٢٣٨هـ. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٧/٣٦٢، رقم: ٣٣٣٤).

(٦) الأسماء والصفات، للبيهقي، (١/٥٩٨، رقم: ٥٣٢).

(٧) الاعتقاد، للبيهقي، (١٠٥-١٠٦).

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١/١٩٧، برقم: ٣٢١).

قال أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ): «اعلموا رحمنا الله وإياكم أنّ قولَ المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديمًا وحديثًا أنّ القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وعِلْمُ اللَّهِ لا يكونُ مخلوقاً، تعالى الله عن ذلك.

دَلَّ على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ (البقرة: ٧٥)، وقال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وهو القرآن»[١].

وقد نقل أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ) عن جمع كثير من السلف كلهم يقولون: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر»، ثم قال: «فهؤلاء خمسمائة وخمسونَ نفسا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار وَمُضِيِّ السِّنينَ والأعوام. وفيهم نحوٌ من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقل قَوْلِ الْمُحَدِّثينَ لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرةً ... ولا خلاف بين الأمة أَنَّ أَوَّلَ من قال: القرآنُ مخلوقٌ جعدُ بن درهم في سنيٍّ نَيِّف وَعِشْرِينَ، ثم جهمُ بن صفوانَ، فأما جَعْدٌ فقتله خالد بن عبد الله القسريُّ، وأما جهمٌ فَقُتِلَ بِمَرْوَ في خلافة هشام بن عبد الملك»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»[٣].

وذكر أيضا أنّ «أئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة من أن الله كلم موسى تكليما، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق»[٤].

مستند هذا الإجماع:

قد دَلَّت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والقياس العقلي الصحيح، على أن القرآن كلام الله

---

(١) الشريعة، للآجري، (١/٤٨٩-٤٩٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٢/٣٤٤).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، (ص: ٣٢). وينظر: منهاج السنة النبوية، (٢/٢٤٦، ٣٦٣)، الفتاوى الكبرى، (٦/٤٦٢)، مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٢/٢٣٥).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٢/٥٠٤).

تعالى، غير مخلوق، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)، ومن السنة ما ثَبَتَ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «جاء رَجُلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما لَقِيتُ من عقرب لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ قال: أَمَا لَوْ قُلْتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك»[١]، «وفي هذا الحديث: أن كلام الله عز وجل غير مخلوق. وعلى ذلك أهل السنة أجمعون، ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ﷺ أحدا أن يستعيذ بمخلوق»[٢].

وأما الدليل العقليّ على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فمبناه أن الكلام تابعٌ للمتكلم، فإن كان المتكلم مخلوقاً كان كلامه مخلوقاً، وإن كان غير مخلوقٍ كان كلامه غير مخلوق. ولما كان القرآن من كلام الله تعالى، لزم أن يكون غير مخلوق.

قال الإمام الحافظ إسماعيل بن أبي أويس الأصبحي المدني (المتوفى سنة ٢٢٦هـ): «القرآنُ كلامُ الله، ومِنَ الله، وما كان من الله عز وجل فليس بمخلوق»[٣].

وَعَنْ أحمد بن الحسن الترمذي[٤]، قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وَقَعُوا في أمر القرآن، فكيف أقول؟ قال: أليس أنت مخلوقا؟ قلتُ: نعم. قال: فكلامك منك مخلوق؟ قلتُ: نعم. قال: أَوَلَيْسَ الْقُرْآنُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قال: وكَلَامُ الله (مِنَ الله)[٥]؟ قلتُ: نعم. قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟[٦].

فبيَّن الإمام أحمد أن الكلام صفةٌ للمتكلم، قائمةٌ به، ولا يُتصوَّر أن يكون منفصلاً عنه أو قائماً بغيره، «وإذا كان الله تعالى غير مخلوق، امتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقا»[٧]. ومقصد الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الرد على الجهمية الذين زعموا أن كلام الله ليس منه ولا قائمًا به[٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكْرِ، بابٌ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وغيره (ح: ٢٧٠٩).

(٢) أبو عمر، ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (٢٤١/٢١).

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، (١٦٠/١، رقم: ١٦١)، ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢٨٩/٢).

(٤) هو: أحمد بن الحسن بن جنيدب، أبو الحسن الترمذي، الحافظ، صاحب أحمد بن حنبل. رحّال طوّف الشام والعراق، وسمع بمصر سعيد بن الحكم بن أبي مريم، وكثير بن عفير، وبالشام آدم بن أبي إياس، وبالعراق أبا نعيم وأحمد بن حنبل وطبقتهما، وروى عنه البخاري في صحيحه، والترمذي في جامعه، وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم. (توفي رحمه الله تعالى، سنة بضع وأربعين ومائتين). ينظر: معجم البلدان، (٢٧/٢)، تذكرة الحفاظ، (٩١/٢)، تهذيب التهذيب، (٢٤/١).

(٥) تمام الكلام: «وكلام الله من الله»، وقد نقله شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي. ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٤٣٣/١٢-٤٣٤).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢٩١/٢).

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٤٣٤/١٢).

(٨) المصدر نفسه، (٤٣٣/١٢-٤٣٤).

المبحث الثالث: معنى قول السّلف: إنّ القرآن من الله بدأ، وإليه يعود.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: معنى قول السّلف: «القرآن من الله بدأ» وقولهم: «القرآن من الله خرج».

المطلب الثاني: معنى قول السّلف: «وإليه يعود».

المطلب الأول: معنى قول السّلف: «القرآن من الله بدأ» وقولهم: «القرآن من الله خرج».

أوّلا: معنى قول السّلف: «القرآن من الله بدأ».

يُراد بقول السّلف: «منه بدأ» أن الله سبحانه وتعالى هو المتكلم بالقرآن حقيقةً، وأن ابتداءه صادرٌ عنه جلّ وعلا، إذ تكلم به أولاً، وهو الذي أنزله من لدنه، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (السجدة: ٢)، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الزمر: ١، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢)، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (غافر: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ (السجدة: ١٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦)، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ (فصلت: ٢-٣)، وأمثال ذلك[١].

وقد كان السّلف يُنكرون مقالة الجهمية في القرآن إنكاراً شديداً، بل كانوا يفزعون من سماعها، لقبحها وشناعتها، كما يدل عليه قول الإمام سفيان بن عيينة عندما أُخبر أن قوما يزعمون أن القرآن مخلوق، ففزع سفيان وقال: «مَهْ»، مرتين أو ثلاثا، ثم قال: «إن القرآن من عند الله جاء، وإلى الله يعود، وهو قرآن كما سماه الله»[٢].

وإنما قال السّلف: «القرآن من الله بدأ»، لأن الجهمية[٣] كانوا يقولون إنه سبحانه خلق الكلام في محل، وأن كلامه بدأ من ذلك المحل، «فقال السلف: «منه بدأ» ردا على هؤلاء، وقالوا: لو كان مخلوقا منفصلا عنه لم يكن كلاما له، بل كان كلاما للمحل الذي خُلِقَ فيه، فإن الرب لا يتصف بما يخلقه في غيره ولم يقم به كما لا يتصف بما يخلقه في غيره من الألوان والطعوم

(١) درء تعارض العقل والنقل، (١١٣/٢)، شرح العقيدة الأصفهانية، (٣٢)، مناظرة في العقيدة الواسطية، ضمن «مجموع فتاوى ابن تيمية»، (١٧٤/٣، ٣٩٠/١٢، ٥١٦-٥٢٢)، الصفدية، (٦٧/٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٣٨٤/٢).

(٣) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، وكان أول من أظهر مقالة التعطيل في الإسلام هو شيخ جهم؛ الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها، فنسبت المقالة إليه، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط. ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١٩٩)، الملل والنحل (٨٦/١)، اللباب في تهذيب الأنساب (٣١٧/١).

والحركات»[1].

ثانيا: معنى قول السلف: «القرآن من الله خرج».

ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْأَعْيُنُ[2]، قال: سُئِلَ أحمد بن حنبل عن تفسير قوله: القرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود؟ قال أحمد: «منه خرج هو المتكلم به، وإليه يعود»[3].

فقول السلف: «منه خرج»، يُراد به: أن الله سبحانه وتعالى هو المتكلم بالقرآن حقيقةً، وأنه صادرٌ عنه، لا من غيره.

وخروج القرآن منه سبحانه لا يقتضي أنه باينه، فقد قال سبحانه في حق المخلوقين: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥)، ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله، وقد علم الناس جميعهم أن نقل الكلام وتحويله هو معنى تبليغه، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧)[4].

وإنما قال السلف: منه خرج، ردّاً على الذين قالوا: إن الله خلق القرآن في غيره، وخرج من ذلك الغير، لا من الله، فقال السلف: القرآن من كلام الله عز وجل، منه خرج، ومنه سُمع؛ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره، فيكون كلاما لذلك المحل الذي خلقه فيه[5].

المطلب الثاني: معنى قول السّلف: «وإليه يعود».

قول السّلف: «وإليه يعود»، يشتمل على معنيين:

المعنى الأول: ما جاء في الآثار: «إن القرآن يُسرى به في آخر الزَّمان من المصاحف والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرفٌ»[6]، كما في حديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كما يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لا يُدْرَى ما صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ. وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يقولون: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فَنَحْنُ نَقولها». فقال له صِلَةُ[7]: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لا إِلَهَ

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، «الصفدية»، (٦٧/٢).

(٢) م مد بن أبي عتاب البغدادي، صدوق. مات ببغداد سنة أربعين ومئتين. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، (تاريخ بغداد)، (٥٧٤/٢، رقم: ٥٤٤)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، (٣٠١/٥٢، رقم: ٦٢١٩)، والحافظ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٧٧/٢٦، رقم: ٥٤٥٢).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، (٣٦/٦، رقم: ٢٢٦).

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، «مجموع فتاوى ابن تيمية»، (٣٩٠/١٢، ٥١٧-٥١٨)، و«شرح العقيدة الأصفهانية»، (ص: ٣٢).

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، «مجموع فتاوى ابن تيمية»، (٤٠/١٢).

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مناظرة في العقيدة الواسطية، ضمن «مجموع فتاوى ابن تيمية»، (١٧٤/٣-١٧٥، ١٩٨-١٩٩)، و«شرح العقيدة الأصفهانية»، (٣٢-٣٣).

(٧) صلة بن زفر العبسي الكوفي، تابعي كبير، ثقة، فاضل. تُوفي بالكوفة في زمن ولاية مُصْعَب بن الزّبير على العراق. ينظر: ابن

إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ ولا صِيَامٌ ولا نُسُكٌ ولا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عليه ثلاثا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عليه فِي الثّالثة، فقال: يا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ، ثلاثا[1].

وعن شَدَّادِ بن مَعْقِلٍ، عن عبد الله بن مسعود، قال: «يُسْرَى على القرآن، فلا يبقى في صدر رجل، ولا في مصحف شيء» قلنا: وكيف يُسْرَى عليه ليلا وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: «يُسْرَى عليه ليلا، فلا يبقى في صدر رجل ولا مصحف شيء»، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٦)[2].

المعنى الثاني: أن قولهم: «وإليه يعود»، تأكيد لقولهم: «منه بدأ»، فهو المتكلم به، وإليه يعود نسبةً ووصفًا. أي أن القرآن كما أنه صادر عن الله ابتداءً، فإنه منتهٍ إليه نسبةً ووصفًا، فلا يُضاف إلى غيره، بل هو كلامه سبحانه على الحقيقة[3].

المبحث الرابع: معنى قول السّلف: «كلام الله منه»، وقولهم: «القرآن منه».

عن عكرمة، قال: كان ابن عباس في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: «مه، القرآن منه»، وفي رواية، فقال ابن عباس: «القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود»[4].

وقال الإمام مالك: «القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق»[5].

سعد، كتاب الطبقات الكبير، (٣١٤/٨، رقم: ٢٩٤٩).

(١) أخرجه مرفوعا، ابن ماجه في «السنن»، أبواب الفتن: بابُ ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، (١٧٣/٥، ح: ٤٠٤٩)، والبزار في مسنده مختصرا، (ح: ٢٨٣٨)، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن، (ح: ٨٦٦٨، ٨٨٥٠)، ثَمَ قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم». وخالفهم نعيم بن حماد فرواه في «الفتن»، (٥٩٨/٢، ح: ١٦٦٥)، موقوفا على حذيفة بن اليمان. والذي يظهر لي والله أعلم، أنه حديث موقوف، ولكنه في حكم المرفوع.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، بهذا اللفظ، (٣٦٥/٥، ح: ١٧٥)، وأخرجه عبد الرزاق بن همام الصنعاني في «المصنف»، (٩٥/٤، ح: ٦١٥٤)، وسعيد بن منصور في «سننه»، (٣٣٥/٢، ح: ٩٧)، ونُعيم بن حماد في كتاب «الفتن»، (٥٥٩/٢، ٦٠٣، ح: ١٦٦٩، ١٦٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤٥/٦، ح: ٣٠١٩٣، ٥٠٥/٧، ح: ٣٧٥٨٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد»، (ص: ٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»، (١٤١/٩، ح: ٨٦٩٨، ٨٦٩٩، ٨٧٠٠)، والحاكم النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين»، (٢٧٣/٩، ح: ٨٧٤٩). شداد ابن معقل الكوفي، صدوقٌ له ذِكْرٌ في صحيح الإمام البخاري. ينظر: تقريب التهذيب، (ص: ٢٦٤، رقم: ٢٧٥٨).

(٣) العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية، (ص: ٢٢٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة، (٥٠١/١، رقم: ١٦٥)، من طريق أبي محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا العمري قال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس، يقول: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق»، وابن بطة في الإبانة الكبرى، (٣٨/٦، رقم: ٢٣٠)، من طريق الآجري، عن عبد الله بن صالح البخاري، به. وأخرجه أبو نعيم في: «حلية الأولياء»، (٣٢٥/٦)، من طريق محمد بن إسحاق الصغاني، بلفظ: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق». وذَكَرَهُ القاضي عياض بن موسى بن عياض، (المتوفى: ٥٤٤هـ) في كتابه: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (٤٣/٢) بلفظ: (قال ابن أبي أويس: قال مالك: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق». زاد غيره عنه: «ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، والذي يقف أشد منه، يستتاب، وإلا ضربت عنقه»). ونقله أيضا الحافظ الذهبي في كتاب: سير أعلام النبلاء، (١٠١/٨)، وفي كتاب: العلو، (ص: ١٤٠، رقم: ٣٨١)، بلفظ: وقال محمد بن

وفي رواية، أن ابن أبي أُوَيس[1] قال: سمعتُ خالي، مالكَ بن أنسٍ، وجماعةً من العلماء بالمدينة، وذكروا القرآن، فقالوا: «كلام الله عز وجل، وهو منه، وليس من الله عز وجل شيء مخلوق»[2].

وعن محمد بن يزيد الواسطي[3]، أنه قال: «عِلْمُهُ، وَكَلَامُهُ مِنْهُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ»[4].

وعن وكيع، أنه قال: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عز وجل، وَهُوَ مِنْهُ جَلَّ وَتَعَالَى»[5].

وعنه أيضا، أنه قال: «مَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ مِنْهُ شَيْئًا مَخْلُوقاً فَقَدْ كَفَرَ»[6].

وعنه أيضا، أنه قال: «من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن شيئا من الله مخلوق» فقيل له: يا أبا سفيان، من أين قلت هذا؟ قال: «لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ (السجدة: ١٣)، ولا يكون من الله شيء مخلوق»[7].

وقولُ السّلفِ: «كلامُ اللهِ منه» يُرادُ به أمران:

أحدهما: أنَّه صفة من صفاته، وصفاته داخلة في مسمى اسمه، كما قال الإمام أحمد: «صفاته منه»[8]، أي: مما يدخل في مسمى اسمه.

والثاني: يريدون بقولهم: كلام الله منه: أي خرج منه، وتكلم به، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ (السجدة: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (السجدة: ٢)[9].

إسحاق الصغاني: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد العمري، حدثنا ابن أبي أويس، سمعت مالكا يقول: «القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق». وقال الألباني في كتابه: مختصر العلو، (١٤٢-١٤٣، رقم: ١١٤): «رجاله ثقات غير أبي بكر: أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه».

(١) إسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله ابن أبي أويس المدني، ابن أخت الإمام مالك بن أنس. صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه. وكان ممن قام في أمر المحنة مقاماً محموداً. تُوفّي سنة ست وعشرين ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٠/٣٩١، رقم: ١٠٨)، تقريب التهذيب، (ص: ١٠٨).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»، (١/١٥٦، رقم: ١٤٥).

(٣) محمد بن يزيد، أبو سعيد الكلاعي الواسطي. ثقة. تُوفّي سنة تسعين ومائة، تقريبا. ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤/٥٩٠، رقم: ١٧٥٥).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»، (١/١٥٩، رقم: ١٦٠)، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٢٨٨)، من طريق عبد الله بن أحمد.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»، (١/١٥٨، رقم: ١٥٢).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»، (١/١١٧، رقم: ٣٩).

(٧) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، (٢/٢٤٥، رقم: ٣٥٩).

(٨) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، (٦/٣٢، رقم: ٢٢٣).

(٩) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، «التسعينية»، (١/٣٦٣-٣٦٤).

وما قيل في تفسير قول السّلف: «كلامُ اللهِ منه»، يقال أيضا في قولهم: «القرآن منه»، إذْ يُراد به: «أن القرآن صفة للّه، وأنه تعالى هو المتكلم به»[1].

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

أولاً: أبرز نتائج البحث:

خص البحث إلى أن أئمة السّلف قد اتفقوا على أن القرآن من كلام الله تعالى، وأنه سبحانه هو المتكلم به.

كما تبيّن أن قولهم: (إن القرآن من الله بدأ)، يُراد به: أن الله سبحانه هو الذي تَكَلَّمَ بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ابتداءً، وأن النبي ﷺ سمعه من جبريل عليه السلام، وجبريل سمعه من الله تعالى، وأن جبريل ومحمداً عليهما السلام مُبلِّغان لكلام الله عز وجل، لا مُنشِئان له، والكلام إنما يُنسب ويضاف حقيقةً إلى من أنشأه وابتدأه، لا لمن بلّغه أو نقله أو أدّاه، أو تلاه.

وأما قولهم: «وإليه يعود»، فيُحمل على وجهين، أحدهما: أن القرآن يُرفع في آخر الزمان من الصدور والمصاحف. والثاني: أنه يعود إليه نسبةً ووصفاً، فلا يُنسب إلى غيره، إذ الكلام إنما يُضاف إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من بلّغه مؤدياً.

وتبيّن كذلك أن قول السّلف: «كلام الله منه» يُراد به معنيان:

الأول: أنَّه صفة من صفاته سبحانه، وصفاته داخلة في مسمّى اسمه.

والثاني: أن المراد بكونه منه: أنه سبحانه المتكلم به، والمنزِّل له من لدنه.

كما أن قولهم: «القرآن منه» يُراد به: أنه صفة للّه تعالى، وأنه سبحانه هو المتكلم به.

ثانياً: توصيات البحث:

١- يوصي البحث بجمع ودراسة الآثار الواردة عن أئمة السّلف في القرآن الكريم، وأنه من كلام الله غير مخلوق.

١- ويوصي البحث أيضا بجمع وتحقيق الآثار المروية في مسألة «رفع القرآن في آخر الزمان»، ودراستها دراسة حديثية وعقدية وفقهية موسّعة.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، «التسعينية»، (٣٥٤/١).

المصادر والمراجع

الآجري، محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري الشافعي، (ت ٣٦٠هـ)، الشريعة، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ه.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٤٢٠هـ)، مختصر العلوّ، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

بَحْشَل، أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزّاز الواسطي، أبو الحسن (ت ٢٩٢ه)، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ه.

البُخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (ت ٢٥٦هـ)، خلق أفعال العباد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية الرياض، ١٣٩٨هـ.

البزار، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، (ت ٢٩٢ه)، مسند البزار، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨ ٢٠٠٩م.

ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّة العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية، الرياض.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، (ت ٧٢٨هـ)، التسعينية، تحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الصفدية، تحقيق:

محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مناظرة في العقيدة الواسطية، ضمن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٥هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة: الثانية ١٤١١هـ.

ابن جَرير الطَّبَري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (ت ٣١٠هـ)، صريح السنة، المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.

ابن جرير الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطّهماني النيسابوريّ، (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ.

ابن حَجَر العَسْقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، (ت ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

حرب الكرماني، أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني (ت ٢٨٠)، مسائل حرب الكرماني من كتاب النكاح إلى نهاية الكتاب، رسالة: دكتوراه -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى، إعداد: فايز بن أحمد بن حامد حابس، إشراف: فضيلة الشيخ الدكتور حسين بن خلف الجبوري، عام: ١٤٢٢هـ.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب، (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الذَّهَبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

الذَّهَبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، (ت ٧٤٨هـ)، العلوّ للعلي الغفار، تحقيق. أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

ابن سَعْد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله، (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ه.

أبو سعيد الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، (ت ٢٨٠هـ)، الرد على الجهمية، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة – مصر، ط. الأولى، ١٤٣١هـ.

أبو سعيد الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، (ت ٢٨٠هـ)، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة مصر، ط. الأولى، ١٤٣٣هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، (ت ٨٤٩هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم –ت ١٤٠١ هـ–، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ./ ١٩٧٤م.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح، (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، القاهرة.

الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٢٦٠هـ)، السنة، (مفقود)، وقد نقلتُ عنه بواسطة كتاب «التسعينية»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر،

(ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن، (ت ٢٩٠هـ)، السنة، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، شرح العقيدة السفارينية -الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٧هـ.

عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن، عز الدين، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير، (ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، الناشر: دار صادر - بيروت، ١٤٠٠هـ، وصَوّرَتْها: مكتبة المثنى في بغداد.

ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، (ت ٥٧١ه)، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني نسبا، أبو عبد الله: الفقيه الحنبلي النجدي، (ت ١٣٩٢هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٥ه.

القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤ه) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الطبعة: الأولى.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ه.

قِوَام السنة الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الشافعي (ت ٥٣٥هـ)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي،

ومحمد بن محمود أبو رحيم، الناشر: دار الراية، الريض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

اللالكائي، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي، (ت ٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي -ت ١٤٣٤هـ-، الناشر: دار طيبة السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ.

ابن ماجه، محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، (ت ٢٧٣ه)، السّنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ه.

المزي، جمال الدين، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، (ت ٧٤٢ه)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ -١٤١٣هـ).

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ أبو الحسين (ت ٢٦١ه) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الناشر: دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ.

أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٧٧م.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، أبو عبد الله، (ت ٢٢٨هـ)، كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.